



خطبة صلاة الجمعة 2025/6/20 للشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(تحمل المسؤولية في زمن البناء)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيِّ اجتهابه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قال: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

عنوان خطبة اليوم:

تحمل المسؤولية في زمن البناء

ولا أعني بتحمل المسؤولية أن يصير المرء مسؤولاً سياسياً أو إدارياً، كأن يكون وزيراً أو سفيراً أو رئيساً أو مديراً وحسب؛ بل أعني بها المسؤولية التي جاءت في الحديث النبوي الشريف: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول".

فالكلام عن تحمُّل كلِّ إنسان للمسؤوليات الملقاة على عاتقه والمسؤوليات التي يمكنه إضافتها إلى نفسه ليبنى بلده ومجتمعه.

قرأت في كتاب (العرب؛ وجهة نظر يابانية):

"مرة كنت عائداً إلى الفندق في وسط "طوكيو" حوالي منتصف الليل، ورأيت عاملاً يعمل وحيداً. فوقفت أراقبه!

لم يكن معه أحد، ولم يكن يراقبه أحد؛ ومع ذلك كان يعمل بجد ومثابرة، كما لو أنّ العمل ملكه هو نفسه. عندئذ عرفت سبب نخوض اليابان؛ وهو شعور ذلك العامل بالمسؤولية النابعة من داخله بلا رقابة ولا قسر. عندما يتصرف شعب بكامله مثل ذلك العامل فإن ذلك الشعب جدير بأن يحقق ما حققته اليابان".

أيها الإخوة:

تعلمون أن الإسلام بقر بتحميل الإنسان التكاليف لتبدأ المسؤولية الشرعية ببلوغه عاقلاً أي قريباً من الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره أو عمرها..

ويستمر التكليف وتحميل المسؤولية مادام القلب يخفق والعقل يعي..

ولئن كانت النظم الوضعية تريد تأخير سن المساءلة إلى الثامنة عشرة، فإن الإسلام لا يزال يدعو معتنقه إلى عمارة الأرض من البلوغ إلى أن يغرغر.

ذلك لأن تحمل المسؤولية سرُّ الحياة وعنوان التقدّم، وهو ثمن الاستخلاف في الأرض، وأفضل هدية يقدمها الآباء للأبناء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: 72]

قال ولي الله الدهلوي: (المراد بالأمانة تقلد عهدّة التّكليف بأن تتعرض لخطر الثّواب والعقاب بالطّاعة والمعصية، وأفاد القرآن بحمل الإنسان لها وقابليته واستعداده لها..

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ خرج مخرج التّعليل؛ فإنّ الظلوم من لا يكون عادلاً، ومن شأنه أن يعدل، والجهول من لا يكون عالماً، ومن شأنه أن يعلم، وغير الأدمي إمّا عالم عادل لا يتطرّق إليه الظلم والجهل كالملائكة، وإمّا ليس بعادل ولا عالم ولا من شأنه أن يكسبها كالبهائم، وإمّا يليق بالتكليف ويستعد له من كان له كمال بالقوّة لا بالفعل).

ومن صور المسؤولية التي نريدك أن تحملها في زمن البناء:

مسؤولية الرجل في بيته بالنفقة والقوامة، ومسؤولية المرأة في بيت زوجها بطاعته وحفظ بيته.
مسؤولية المعلم بإحاطة طلابه بالحفظ والتربية والتعليم، ومسؤولية الطالب بالتعلم واحترام المعلمين
ومدارس العلم والمحافظة عليها.

مسؤولية رجال الإعلام بتقديم النافع للناس، ومسؤولية الناس بالتعقل في تلقي الأخبار وتمييز الصحيح
من الخطأ.

مسؤولية الحاكم تجاه الرعية بإحاطتهم بعنايته ورحمته وبره، ومسؤولية الرعية تجاه الحاكم بطاعته ونصحه.
مسؤولية الدعاة بنشر الخير وغرس البر، ومسؤولية العامل في الوظائف العامة والخاصة بحفظ مصالح
الخلق ومراقبة الخالق، ومسؤولية المسلم بلزوم التكليف الشرعية بأداء الفرائض والمندوبات وترك المحرمات.

ومن صور تحمل المسؤولية التي تبني البلد وتمكِّن له:

الوفاء بالوعود والالتزامات، والاعتراف بالأخطاء وتحمل نتائجها، والسعي لحل المشكلات بدلاً من
التنصّل منها، والاجتهاد في أداء المهام والواجبات الموكّلة للفرد، والتواصل الفعّال مع الآخرين، واحترام
القوانين والأنظمة، والتحلي بالصدق والأمانة في التعاملات.

أخرج الإمام البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: (كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس،
وأشجع الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قِبَل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ
قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: «لن تُراعوا لن تُراعوا» وهو على فرس لأيّ طلحة عُزّي ما
عليه سَرَج، في عُنقه سيف، فقال: «لقد وجدته بجرّاً»، أو: «إنه لبحر»).

فها هنا يجد رسول الله ﷺ نفسه مسؤولاً عن حماية أبناء بلده وإبعاد الأذى عنهم، فينطلق وحده
مسرّعاً ليدفع المفزع عنهم، ويعود ليطمئنهم أن لا شيء يستدعي الخوف والرّوع.

أما صور التخلي عن المسؤولية والتي تؤذي البلاد والعباد فمنها:

- الاستغراق بتحليل الأحداث والمجريات، والدخول بمهاترات وجدل عقيم في مجموعات التواصل
والاتصال.

- الجلوس لساعات طويلة وراء الجوال للاشتغال بتقييم الأشخاص بأفعالهم وأقوالهم ونواياهم وترك
ساحة العمل والبناء.

- اختلاط الأدوار بين النساء والرجال: فتجد المرأة تخرج باكرة لتعمل وتكدح، وزوجها أو أخوها
يتوسّد الكسل واللامبالاة.

- التردّي العلمي والأكاديمي: وفيه نقرأ تقصير عدد من المعلّمين أو أساتذة الجامعات في مسؤولياتهم التعليمية والتربوية، وتقصير عدد من الطلبة عن مسؤولياتهم التحصيلية.

- ارتفاع نسب الطلاق: وفيه مؤشر على التقصير في تحمّل المسؤوليات الزوجية.

- المخدّرات والمسكّرات: وهي من أبرز مظاهر التخلي عن المسؤولية؛ إذ يعتقد متناولها أن أنجع وسيلة لحل المشكلات هي الهرب منها إلى عالم المجهول.

ومن صور عدم تحمل المسؤولية إلقاء اللوم على الآخرين عند وقوع الأخطاء، والتهرب من المهام والواجبات، والمماطلة والتسويف، والاعتماد الزائد على الآخرين، وعدم الوفاء بالالتزامات والمواعيد، والانخراط في سلوكيات سلبية مثل الكذب والتلاعب بالآخرين لتحقيق مكاسب شخصية.

أيها الإخوة:

﴿ وَقَفُوهُمْ إِيَّهِمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [الصفات: 24] توجيه قرآني يدعونا لتحمل المسؤوليات العامة والخاصة.

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 36] توجيه قرآني

يدعونا لتحمل المسؤوليات الملقاة على عواتقنا.

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: 92، 93] توجيه قرآني يدعونا لتحمل

المسؤوليات الملقاة على عواتقنا والتي نستطيع إضافتها وحملها.

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: 6] توجيه قرآني يدعونا لتحمل المسؤولية وعدم

التقصير بها.

فَلَنَجْهَدُ أَنْ نُؤَدِّيَ مَا عَلَيْنَا، وَأَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ الْمَعُونَةَ، إِنَّهُ نَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ النَّصِيرُ.

والحمد لله رب العالمين